

تفسير البيضاوي

37 - { وإذ تقول للذي أنعم الله عليه { بتوفيقه للإسلام وتوفيقك لعنته واختصاصه } وأنعمت عليه { بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة { أمسك عليك زوجك } زينب وذلك : أنه E أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقع في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي E وقال : أريد أن أفارق صاحبتي فقال : ما لك أرا بك منها شيء فقال : لا والله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له : أمسك عليك زوجك { وابق الله } في أمرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها { وتخفي في نفسك ما الله مبديه } وهو ناكحها إن طلقها أو إرادة طلاقها { وتخشى الناس } تعييرهم إياك به { والله أحق أن تخشاه } إن كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الإخفاء وحده فإنه حسن بل على الإخفاء مخافة قاله الناس وإظهار ما ينافي إضماره فإن الأولى في أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الأمر إلى ربه { فلما قضى زيد منها وطرا } حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها { زوجناكها } وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ (زوجتكها) والمعنى أنه أمر بتزويجها منه أو جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي A : إن الله تعالى تولى إنكاحي وأنتن زوجكن أولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة إيمانه { لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا } علة للتزويج وهو دليل على أن حكمه وحكم الأمة واحدة إلا ما خصه الدليل { وكان أمرا } أمره الذي يريده { مفعولا } مكونا لا محالة كما كان تزويج مريم